أهمية التربية القرآنية في بناء الإنسان ومواكبة التقدم

أ/ خالد الهادي الفلاح
جامعة السابع من أبريل /الزاوية
- ليبيا -

الفصل الأول
- معنى التربية القرآنية -

المبحث الأول
- معنى التربية وأهميتها -

- أولا: معنى التربية

إن للتربية معنى لغويا وآخر اصطلاحيا، وهناك ارتباط وثيق بين كل من المعنيين يتبين بعد استعراضها كما يلي:

1- **تعريف التربية لغة:** التربية لغة معناها الزيادة مأخوذة من الفعل "ربا" أي زاد، ونشأ.

قال في الصحاح: (رَبوتُ في بني فلان ورَبيتُ أي: نشأت فيهم وينشد:

ثلاثةُ أملاك ربوا في حجورنا * فهل قائلٌ حقا كمن هو كاذب

وربيته تربية أي: غذوته. هذا لكل ما ينمي كالولد والزرع وغيره [1].

وقال في لسان العرب: «ربَّ ولده والصبي يربُّه وربَّبه تربيبا وتربة بمعنى: ربّاه.

وفي الحديث: «ألك نعمة تربّها» أي تحفظها وتراعيها وتربّيها كما يربّي الرجل ولده.

وفي حديث ابن ذي يزن: أسد تربّب في الغيظات أشبالا، أي تربي [2].

وهذا يعني أنها مشتقة من الفعل ربَّ يربُّ بدون ألف، وهو اشتقاق ثان لهذه الكلمة علاوة على الاشتقاق الأول من الفعل: ربا يربو.

إذا فالتربية لغة هي الحفظ والرعاية والتنشئة ومتابعة الأبناء وتوفير ما يحتاجون إليه من طعام ولباس وغيرها، ولذلك سمّي الربيب أو الربيبة بهذا الاسم وهو ابن الزوجة أو ابنتها لأنه ينشأ ويترعرع في حجر زوج أمه.

قال تعالى: ﴿**وربائبكم اللاتي في حجوركم**﴾ [النساء: 24]. قال القرطبي: سميت بذلك لأنه يربيها في حجره فهي مربوبة [3].

2ـ تعريف التربية اصطلاحا:

دأب العلماء والفلاسفة والتربويون قديما وحديثا في تعريف التربية وبيان معناها، غير إن بعضهم نظر إليها من زاوية معينة أو من جهة واحدة فظنّها البعض للصغار دون الكبار وظنّها البعض التهيئة العلمية أو الذهنية وغير ذلك وممن حفظت عنهم تعريفات للتربية مايلي:

1ـ **عرفها إفلاطون:** (346-427 ق.م). بأنها: «إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال» وهذا التعريف مع ما فيه من شمول فهو غير محدد لمعنى التربية ووظيفتها.

2ـ **عرفها أرسطو:** (322-384 ق.م) بأنها: «إعداد العقل لكسب العلم كما تعد الأرض للنبات والزرع» فهو يركز على التربية العلمية ويهمل ما عداها.

3ـ **وعرفها الشاعر الإنجليزي:** جون ملتون (1608-1674م) بأنها: «هي التي تجعل الإنسان صالحا لأداء أي عمل عاما كان أو خاصا بدقة وأمانة ومهارة في السلم والحرب».

4ـ **وحدد الفيلسوف الألماني:** كانط (1724-1804م) الغرض الأساسي من التربية بأنها: «الوصول بالإنسان إلى الكمال المطلق».

5ـ **وعرفها المربي السويسري:** يوحنا هنري (1746-1827م) بأنها: «تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة متلائمة».

6ـ **وعرفها الفيلسوف الأمريكي:** جون ديوي (1859-1952م) تعريفا شاملا وجامعا تناقله الكتاب من بعده بأنها: «الحياة نفسها وليست مجرد إعداد للحياة وأنها عملية نمو وعملية تعلّم وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة وعملية اجتماعية».

7ـ كما عرفتها اللجنة العالمية المكلفة بوضع استراتيجية للتربية بأنها: «العمل المنسق المقصود الهادف إلى نقل المعرفة وخلق القابليات، وتكوين الإنسان والسعي به في طريق الكمال من جميع النواحي وعلى مدى الحياة».

8ـ كما عرفتها اللجنة العربية المكلفة بوضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية بأنها: «عملية إنسانية سلوكية اجتماعية حضارية تتألف في جوهرها من التعليم القائم أصلا على الجهود الذاتية للمتعلم المتجلية في تشكيل سلوكه المؤدي إلى تطوير شخصيته وبالتالي إلى مساهمته في تقدم مجتمعه وتمكّنه من المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية وبهذه الصورة: فهي عملية سلوكية واجتماعية غايتها القصوى خير الإنسان وخير المجتمع وخير الإنسانية جمعاء».

9ـ كما عرفها من علماء التربية العرب الأستاذ محمد عطية الأبراشي بأنها: «إعداد المرء ليحيا حياة كاملة ويعيش سعيدا ومحبا لوطنه قويا في جسمه كاملا في خلقه، منتظما في تفكيره رقيقا في شعوره، ماهرا في عمله، متعاونا مع غيره: يحسن التعبير بقلمه ولسانه ويجيد العمل بيده».

وهذا التعريف مناسب للعملية التربوية غير أن فيه تطويلا ويمكن اختصاره في الآتي:

(هي إعداد المرء ليحيا حياة كاملة خلقيا، وجسميا، وفكريا، وشعوريا، واجتماعيا).

10ـ ذكر هذه التعريفات الدكتور عمر الشيباني ثم عرف التربية بأنها: «عملية نمو مزدوج لكل من الفرد والمجتمع ـ وهذا الحد كاف كتعريف ـ ترمي إلى التنمية الشاملة لكل من الفرد والمجتمع وإلى مساعدة الفرد بالذات على تحقيق التعليم والتعبير المرغوب في سلوكه وعلى بناء خبراته وتجديدها وتعميقها وتوجيه اللاحق منها...» (4).

المعاني: ولعل التعريف الأخير جامع لمعاني التربية مانع من دخول غيرها فيه.

فالتربية إذن: هي عملية نمو مزدوج لكل من الفرد والمجتمع، ومعنى عملية: أي أنها عمل يمارس صباح مساء وليست مجرد نظرية أو شعار، لكنّها عمل يقوم بين اثنين فأكثر له أهداف ونتائج وأساليب...

ومعنى: نمو: أي تطور ونشأة وازدياد.

ومعنى: مزدوج: أي في جميع المجالات التي تخص الفرد والمجتمع جسميا، وروحيا، وفكريا، ونفسيا، واجتماعيا. ثم هي ليست خاصة بالفرد، ولكنها للفرد أولا وللمجتمع ثانيا الذي يمثل الفرد لبنة من لبناته وعضوا من أعضائه يشد بعضه بعضا، وإذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ـ ثانيا: أهمية التربية

للتربية أهمية كبيرة وخاصة بالنسبة لنا ـ معشر المسلمين ـ حيث تظهر أهميتها واضحة دنيا وآخرة، أفراداً وجماعات، كمايلي:

1ـ تكمن أهمية التربية أولا في كونها تبني المسلم روحيا، فتقوده إلى الطريق المستقيم وتمنعه من الانحراف وارتكاب الرذيلة، فيحافظ المسلم على

دينه فيصل إلى مرضاة اللّه عزوجل - وهي أعظم غاية يسعى إليها المسلم والتي لا تساويها الدنيا وما عليها لأنها هي المطلوبة منه قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** [الذاريات: 56] وقد وضح النبي ﷺ أن التربية هي التي تحفظ للمسلم دينه وفطرته في قوله ﷺ: «يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» وعمل الوالدين في هذا المجال هو التربية ذاتها، والحديث يدل أيضا على أن قبضة التربية على الإنسان قوية من الصعب أن يفلت منها لدرجة أنها تغير فطرته التي فطره اللّه عليها، ولذلك قيل «الناس على دين ملوكهم» «ومن شب على شيء شاب عليه» وغير ذلك.

إذن فالتربية الروحية لها أهمية كبيرة بالنسبة للمسلم وذلك في توريث الدين والشباب عليه، مهما تعرض الإنسان للمؤثرات المعاكسة لهذا الاتجاه.

2- للتربية أهمية كبيرة من الناحية النفسية، حيث تخلق في الإنسان حب الخير للآخرين، والتعاون معهم، والاحساس بآلامهم ومشاكلهم، ومشاركتهم في سرائهم وضرائهم، وذلك بتوجيه انفعالاته الوجهة المرغوبة وتهذيبها بمبادئ الخير والإحسان، فالتربية الإسلامية تخلق في النفس السكينة التي تقودها إلى السعادة وذلك لأن المؤمن الذي يؤمن باللّه واليوم الآخر بعيد عن الشك والحيرة، يصلي لربه ويعيش في معيّته وفي صحبة أنبيائه ورسله يرضى بقضاء اللّه ويصبر على ابتلاء اللّه وقد قال النبي ﷺ «إن اللّه عز وجل بقسطه جعل الفرح والروح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في السخط والشك» وقد عبر القرآن عن ذلك فقال تعالى في شأن المؤمنين **﴿رضي اللّه عنهم ورضوا عنه﴾** [البينة: 8].

3- والتربية تعود على الإنسان بالنفع عقليا: حيث يستطيع عن طريقها اكتشاف مواهبه وقدراته واستعداداته العقلية، وذلك بالتدريب والصقل والاختبار من قبل المربيين، كما يكتسب عن طريقها المعارف والثقافات المختلفة التي تعود عليه بالنفع ماديا ومعنويا. وفائدة التربية لا يمكن إنكارها في هذا المجال، حيث إن التعلم ليس فطريا أو غريزيا إنما هو عملية تتم

بالإكتساب فكيف يتحصل عليه ويسير بنوره من لم يكن له نصيب من التربية.

4ـ والتربية تعود بالنفع على الفرد جسميا، حيث تساعد على تنمية مهاراته واستعداداته البدنية فيصبح ذا لياقة بدنية عالية، فيعيش سليم الجسم بعيدا عن الأمراض والآفات، وذلك بالإبتعاد عن تناول كل ما فيه ضرر على جسمه وبعدم الإكثار من الأكل وكذلك تنظيمه، والإكثار من الصوم - وكل ذلك دلت عليه الآيات القرآنية وأحاديث نبوية.

5ـ للتربية أهمية اجتماعية، حيث تنمي الفرد اجتماعيا حتى يتمشّى مع الحياة التي يرتضيها المجتمع الذي يعيش فيه، ويتمكّن من الإلمام بتراث مجتمعه وتاريخه وقيمه وعاداته وتقاليده الصالحة، كما يكتسب الصفات والمهارات والعادات والاتجاهات الصالحة التي تمكّنه من إقامة علاقات اجتماعية وإنسانية ناجحة مع غيره من أبناء المجتمع.

6ـ وللتربية أهمية اقتصادية بعد هذا كله، فهي من أهم الوسائل لتحقيق الرفاهية الاقتصادية للفرد والأسرة بزيادة الدخل ورفع المستوى المعيشي، وتحسين المركز الاجتماعي، فالمركز الاقتصادي والاجتماعي للفرد في المجتمعات الديمقراطية يتوقف على مستوى تعليم الفرد أكثر من اعتماده على نسبه وعلى ما يرثه من آبائه وأجداده، وقد دلّت نتائج كثير من الأبحاث التي أجريت في الدول المتقدمة للكشف عن الصلة بين دخل الفرد وبين مستوى تعليمه على أن هناك علاقة إيجابية كبيرة بين مستوى تعليم الفرد وازدياد دخله فكلما زاد مستوى تعليمه زاد دخله [5].

هذه أهم الفوائد المتمثلة في التربية وهي حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها والدليل عليها سهل وبسيط يكمن في عقد مقارنة بين من رزق نعمة التربية، وبين من حرمها، فإن النتيجة معلومة سلفا من جميع النواحي الصحية، والنفسية، والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، كما يدل عليها أيضا

مقارنة أخرى بين واقع المسلمين في القرون الأخيرة وخاصة هذا القرن الذي وصل فيه المجتمع الإسلامي إلى الدرك الأسفل من التأخر والضعف والانحطاط بسبب التخلّي عن منهج اللّه، وتربية الناس عليه، واستبداله بمناهج ووسائل وأساليب تربوية مستوردة لا فائدة ترجى من ورائها لهذا المجتمع، أقول بعقد مقارنة بين واقعهم اليوم وواقع سلفهم الصالح وخاصة في صدر الإسلام عندما كان شباب الإسلام يتخرّج من تلك المدارس البسيطة، والمحاضر التربوية الدافئة المتمثلة في الأم الواعية والأب الملتزم بدينه، والأسرة الطاهرة النقية المتآلفة، والمجتمع النقي المتحضر نفسيا وعقليا واجتماعيا، فالبون بين الجيلين وهو يدل دلالة صادقة على أهمية وأثر التربية وانعكاساتها على الفرد والمجتمع - أو عندما ترك المسلمون التربية وقعوا فريسة الضعف وسيطر عليهم الشيطان وملأ قلوبهم بالخوف من الموت وكراهيته وحب الدنيا وعبادتها، فتكالبت عليهم أمم الأرض وأستأسد في بلادهم القط واستنسر البغاث، وصدق فينا قول الشاعر:

محمد هل لهذا جئت تسعى * وهل لك ينتمي همل مشاعُ

إسلام وتغلبهم يهود * وآساد تقهرهم ضباعُ

شرعت لهم سبيل المجد لكن * أضاعوا شرعك السامي فضاعوا

بل صدق فينا قول اللّه سبحانه **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾** [مريم] ولا أظن أن هناك عقوبة دنيوية أكثر إيلاما وتعذيبا مما يعانيه المواطن العربي اليوم الذي يشعر بالضعف والانحطاط والظلم والاستعمار ولا يستطيع تغيير شيء من هذا الواقع المزير.

المبحث الثاني

معنى القرآن وأهميته كمصدر للتربية:

ـ أولا: معنى القرآن الكريم

القرآن لغة مصدر من الفعل: قرأ يقرأ قرآنا وقراءة على وزن فعلان.

وقد استعمل هذا المصدر في القرآن الكريم للرمز به إلى القراءة فقال تعالى **﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾** [القيامة: 18-17].

وفي الإصطلاح: هو كلام الله تعالى المنزّل على سيدنا محمد ﷺ المعجز المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المبدوء بسورة الفاتحة المنتهى بسورة الناس(6).

وهذا التعريف جامع مانع، حيث يخرج بقولنا: كلام الله. كل كلام آخر للأنبياء وغيرهم، ويخرج بقولنا: المنزّل على سيدنا محمد ما نزل على غيره من الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل، وبقولنا: المعجز تخرج الأحاديث القدسية وبقولنا: المتعبد بتلاوته تخرج السنة النبوية عموما، ويخرج بقولنا: المنقول بالتواتر ما نقل بغير التواتر كدعاء القنوت وما عرف بالقراءات الشاذة.

والقرآن هو آخر الكتب السماوية نزولا، وقد قام بنسخ جميع هذه الكتب، وهو كتاب شامل لجميع جوانب الحياة، أعطى صورة كافية عن العقيدة، والعبادات والمعاملات والأخلاق، وقد صدق الله سبحانه عندما يقول: **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** وصدق رسول الله ﷺ عندما وصفه بقوله: «فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي

عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

ولذلك فجدير به أن يكون أعظم مصدر للتربية لأنه من اللّه الذي يعلم ما يصلح للإنسان وينفعه.

ـ ثانيا: أهمية القرآن الكريم كمصدر للتربية

إن القرآن الكريم هو أهم وأعظم مصدر لتربية الإنسان إن لم نقل إنه المصدر الوحيد لها، وهذه الدعوى تتأكد فيما يلي وذلك بالنظر في التربية قبل نزول القرآن، وبعد نزوله.

أولا: التربية قبل نزول القرآن

لقد عرفت التربية منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض، وقد تنوعت مصادر التربية فمنها ماهو سماوي ومنها ماهو أرضي من وضع البشر، فاللّه سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب في الأمم لتحقيق هذه الغاية.

قال تعالى: **﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾** [فاطر: 24]

وواضح أن أكثر الأمم القديمة عرفت التربية:

1ـ فاليونان عرفوا التربية وحدّدوا لها معانيا ـ وقد سبق أن عرفنا أن أفلاطون عرّفها بأنها إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال، وأن أرسطو عرفها بتعريف آخر... ووضعُ تعريف لهذه العملية يدل على تأصّلها فيهم واهتمام علمائهم وفلاسفتهم بها يدل على قيام هذه الأمة بها وممارستها لها.

2ـ والفراعنة في مصر عرفوا التربية وهم أمة ذات حضارة مادية ملموسة الدليل على ذلك امتنان فرعون على موسى ـ عليه السلام بتربيته حتى نشأ وترعرع قال تعالى: **﴿ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين﴾** [الشعراء: 18].

3ـ وبنو اسرائيل عرفوا التربية أيضا ومارسها أنبياؤهم ورسلهم وأحبارهم وقد سمّى اللّه سبحانه طائفة منهم ربانيين وذلك لممارستهم التربية قال تعالى: **﴿يحكم بها النبيئون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار...﴾** [المائدة: 44]. «والربانيون واحدهم رباني منسوب إلى الرب والربّانيّ: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور روي معناه عن ابن عباس» [7].

4ـ العرب عرفوا التربية أيضا ومارسوها أحسن ممارسة فكانوا يُربّون أبناءهم على الشجاعة والفروسية والكرم، ويرسلونهم للبادية لتعلم الفصاحة والبلاغة ويخرجون بهم في رحلات التجارة... وقد وصف اللّه سبحانه بعد نزول القرآن المؤمن البارّ بوالديه المعترف بتربيتهما له بقوله تعالى: **﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾** [الإسراء: 24]. مما يدل على أن هذا الاصطلاح كان معروفا لديهم قبل ذلك، وقد استعملوه في لغتهم وأشعارهم فقال أحد شعرائهم:[8]

وربّيته حتى إذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
تغمّط حقي باطلا ولوى يدي * لوى يده اللّه الذي هو غالبه

وقال آخر:

ربّيته حتى إذا تمعددا * كان جزائي بالعصا أن أجلدَ

إذن فجميع الأمم مارست التربية قديما وحديثا عن طريق الوحي السماوي أو القانون الوضعي، ولكن الذي يلاحظ أن أكثر الرسالات السماوية كانت تقابل بالرفض، وسرعان ما يقتل أصحابها أو يموتون ويتناسى الناس تعاليمهم، وهكذا، والقوانين والأعراف الوضعية ليس لها الكمال الذي يعطي للفرد والمجتمع التربية الشاملة النافعة فهو يركز على جانب ويهمل جوانب أخرى، فنجد اليونان يركزّون على التربية الفكرية بينما يركز العرب على القوة الجسمية والفصاحة والبيان... وهكذا مع خلط المبادئ الخيّرة بالشر

والفساد والابتعاد الكلي عن الجانب الروحي لأن الصلة مفقودة بين المرء وربه، وبالتالي فالتربية لا تعود على الفرد بالنفع غالبا لأنها لا تهبه السعادة والسكينة، مع أنها قد تعطيه العلم أو القوة أو المال أو الجاه والسلطان الأمر الذي أوجب وجود مصدر أصيل لتربية شاملة خالدة، وقد كان المصدر هو كتاب اللّه الخالد الذي كان العالم أجمع في أمس الحاجة إلى تعاليمه السمحة وإرشاداته الضرورية. وقد استفاد المسلمون منه في هذا المجال، بينما بقى غيرهم يتخبط في غيابات الجهل قرونا عديدة، وللآن لازال الإنسان في أوروبا وأمريكا حائرا تائها بعيدا عن السعادة والإستقرار، لبعده عن اللّه وعن منهج اللّه عزوجل

ثانيا: القرآن هو المصدر الوحيد للتربية

لقد سبقت الإشارة إلى أن مصادر التربية قد تكون أرضية وقد تكون سماوية، كما سبقت الإشارة إلى أن السماوية هي الأصلح للعملية التربوية وذلك للأسباب الآتية:

1ـ التشريع السماوي يلقى الإحترام والتقدير، ويطلق على هذه الكتب: الكتب المقدسة لأن مصدر هذه الكتب هو اللّه سبحانه وتعالى، ولا نكاد نجد أحدا ممن يؤمن باللّه عزوجل إلا ويحترم هذه الكتب أو بعضها مهما كان تخصصه أو اتجاهه.

2ـ التشريع السماوي أكثر ردعا للنفوس لأنه لا يعوّل على الدنيا فقط أو على الآخرة فحسب، ولكنه يعوّل عليهما معا، ويقرر العقوبة في الدنيا والآخرة، كما إنه يهتم بالجانب المادي والمعنوي للإنسان فيغذي الإنسان ماديا ويشبعه روحيا حتى تقع المواءمة بين الروح والجسد.

3ـ التشريع السماوي يتسم بالثبات، فإذا أمر بشيء كالصدق والأمانة، وبر الوالدين، والاحسان إلى الجار. أو ينهي عن شيء كالزنا واللواط وشرب الخمر والغدر والخيانة. فإنه يحافظ على هذا الأمر ولا يبدّله في أي زمن يأتي،

بينما القانون الوضعي خاضع لعقل ونفس واضعه، فقد يباح الكذب والخيانة وشرب الخمر والزنا تحت مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).

هذه بعض الأسباب التي تجعل التشريع السماوي أعظم مصدر تستقى منه التربية.

والكتب السماوية لم يبق منها اليوم - على المشهور - إلا ثلاثة كتب هي: القرآن، والتوراة والإنجيل، ولاشك ولا اختلاف في أن القرآن هو أصلح هذه الثلاثة للقيام بدور المربي بشهادة الأصدقاء والأعداء معا ولعدة أسباب لعل منها مايلي:

1ـ ان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولا وهو ناسخ لما نزل قبله من كتب، قال تعالى: **﴿مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه﴾** [المائدة:48].

ومعلوم أن اللاحق ينسخ السابق، وإثبات أن القرآن كلام الله سبحانه لا يسع المجال لذكره، ولكنه باختصار قد ثبت إعجازه قديما وحديثا من وجوه كثيرة لم تجتمع في أي كتاب سبقه.

2ـ القرآن الكريم شامل لجميع جوانب الحياة؛ أعطى صورة وافية عن بداية الخلق ونهايته وحقيقة الدنيا والآخرة، ولم يهمل جانب العقيدة أو الأخلاق أو العبادات والمعاملات، احتوى على علوم بأسرها وأشار إلى عشرات العلوم والحرف، وذكر تجارب الماضين وتاريخ الأنبياء والمرسلين، وتنبّأ بما سيحصل في المستقبل من تطور وتقدم وسار مواكبا للحياة، مسايرا لتقدم الإنسان وتمدنه، لم يتناقض مع العلم في أي جانب من جوانبه، في الوقت الذي يجهد علماء الدين من اليهود والنصارى أنفسهم للتوفيق بين التقدم العلمي وبين الأكاذيب المدسوسة في كتبهم.

3ـ والقرآن كتاب محفوظ تولى الله سبحانه حفظه بنفسه فقال: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [الحجر: 9]

نقل بالتواتر جيلا بعد جيل إلى أن وصل إلينا كتابة ومشافهة، بينما

تعرضت التوراة والإنجيل للتحريف والتبديل، وحشر بينهما من القصص والأكاذيب الشيء الكثير، ولا أدلّ على تحريف التوراة من كثرة المغالطات العلمية والتاريخية بها حيث احتوت على قصص بني اسرائيل التي حصلت بعد موت موسى عليه السلامُ. ولا أدلّ على تحريف الإنجيل من تعدد نسخه وتباينها ـ مع اعترافهم بأنه كتب بلغة لم ينزل بها فالإنجيل لم يكتب أول مرة باللغة العبرية أو السريانية التي كان يتكلم بهما المسيح عليه السلام وهكذا لا يبقى غير القرآن كمصدر للتربية نادي بها وطبقها المؤمنون به أحسن تطبيق ونجحوا أيما نجاح، ولا عجب في ذلك فقد كانت أول آيات القرآن نزولا تدعو إلى التربية العقلية عندما أمرت بالقراءة، كما أن أول الآيات في المصحف أشارت إلى التربية وهي آية يجب على المسلم أن يقرأها سبع عشرة مرة على الأقل في اليوم وهي قوله تعالى: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** [الفاتحة: 1]. فكلمة الرب تعني المالك، وتعني السيد كما إنها تعني المصلح والمدبر والجابر والقائم...

واختلف في اشتقاقه؛ فقيل إنه ـ أي لفظ رب ـ مشتق من التربية فاللّه سبحانه وتعالى مدبر لخلقه ومربيهم [9].

الفصل الثاني

ـ اتجاهات التربية القرآنية ـ

المبحث الأول

ـ التربية الروحية والنفسية ـ

إن التربية الروحية أسمى هدف نزل من أجله القرآن الكريم آخر رسالات السماء إلى الأرض وأكبر وأشملها، أي إنه جاء لتربية البشر وهدايتهم، قال تعالى: **﴿يهدي به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه﴾** [المائدة: 16] وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها عن القرآن

قالت «القرآن كتاب هداية» وقد قام الرسول ﷺ وأصحابه من بعده بإلقاء الضوء على نواحي التربية في كتاب اللّه وتطبيق الجوانب العملية لها حتى أخرجوا أعظم أمة للوجود، وصنعوا أكبر حضارة للإنسان، انتصرت على جميع أعدائها مع الفرق الكبير في العدد والعدة حيث كان أعداء المسلمين إنما فهم عربا وروما وفرسا.. ولكن المسلمين ينتصرون دائما للقوة الروحية والإيمانية الهائلة التي امتلاءت بها نفوسهم وفاضت على أجسادهم وجيوشهم..

وفضلا عن ذلك فإن المؤمنين يعيشون في راحة وسكينة وهم يطبقون تعاليم دينهم الحنيف، ويعيشون في سعادة ولو كانوا فقراء أو ضعفاء أو مرضى **﴿إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا...﴾** [فصلت: 30].

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: 82].

أما غيرهم فإنّهم يعيشون في قلق واضطراب وخوف فقراء وأغنياء على حد سواء بشهادة علمائهم وكتّابهم قال الفيلسوف البريطاني: تويتي «لقد أغرت فنون الصناعة ضحاياها، وجعلتهم يسلمونها قيادة أنفسهم ببيعها "المصابيح الجديدة" مقابل "المصابيح القديمة" لقد أغوتهم فباعوها أرواحهم وأخذوا بدلا منها السينما والراديو، وكانت نتيجة هذا الدمار الحضاري الذي سببّته تلك الصفقة الجديدة، إفقارا روحيا وصفه افلاطون بأنه "مجتمع الخنازير" وقال القسيس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول": «من العجب أن الأمراض العقلية أكثر عدوا من جميع الأمراض الأخرى مجتمعة... وإن شخصا من كل 22 شخصا من سكان نيويورك يجب إدخاله أحد مستشفيات الأمراض العقلية بين آن وآخر» [10].

والروح وإن كانت شيئا غامضا لا يعلم حقيقته إلا اللّه كما قال تعالى: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**

[الإسراء: 58].

غير إنه من المعلوم أنها شيء عظيم بوجودها في جسم الإنسان تمّ تكريمه وإسجاد الملائكة له قال تعالى: ﴿فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [الحجر: 29].

«فالروح هي وسيلتنا نحن البشر وبخاصة أهل الهدي منا للإتصال باللّه سبحانه إذ هي تهدي إليه بفطرتها السوّية كما يهتدي إليه كل شيء من خلقه ويسبح له» (11).

وصدق من قال:

يا متعب الجسم كم تشقى لخدمته * أتعبت نفسك فيما فيه خسران

أقبل على الروح واستكمل فضائلها * فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

وقد اتخذ القرآن خطوات لتعميق التربية الروحية لعل منها مايلي:

ـ أولا: عقد الصلة بين الإنسان وربه، وذلك بترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس بعبادة اللّه وحده، والاعتراف له بالربوبية والألوهية، وعدم الإشراك به في العبادة والحب والخوف والرجاء والدعاء. قال تعالى: ﴿الحمد للّه رب العالمين﴾ [الفاتحة: 2].

﴿واعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئا﴾ [النساء: 36]، ﴿والذين آمنوا أشد حبا للّه﴾ [البقرة: 165]، ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: 175]، ﴿يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾ [السجدة: 16] وغيرها كثير من آيات القرآن التي دلت على أن اللّه هو الخالق الرزاق، رب الجميع العادل بين عباده.

ـ ثانيا: الإهتمام بالعبادات التي تغذي الروح وتزيد الإيمان في النفوس وهي:

* **الصلاة:** خمس فرائض كل يوم علاوة على النوافل قبل صلاة الصبح، وعند الضحى وقبيل صلاة الظهر وبعدها، وقبل صلاة العصر، وبعد صلاة المغرب

والعشاء، وقيام الليل... وصلاة الحاجة والاستخارة، وبعد الوضوء وصلاة الجنازة، وعند دخول البلد... كل ذلك أمر به القرآن والسنة المطرة في كثير من الآيات والأحاديث كقوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ [الإسراء: 78]. ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة: 238]. ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ [النساء:103].

وغيرها، ولم يسمح الإسلام لأحد أن يترك الصلاة مهما كان مركزه أو حاجة الإسلام إليه، أو ظروفه الصحية غير أنه تمشّيا مع مبدأ التيسير خفّف عنهم طريقة الأداء في المرض والسفر.

* **والصوم:** ركّز عليه القرآن لأنه عامل عظيم لتهذيب النفوس وتذكيرها بحقيقتها وغايتها، ومبعث جليل على التساوي والتكافل، قل تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: 184].

* **والحج:** أيضا لأنه يشعر بتعظيم الله عند زيارة بيته، وبالتساوي مع المسلمين ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ [البقرة: 196].

* **والزكاة:** لأن فعلها كبح لشهوة التملك المغروزة في النفس الإنسانية وتطهير للمال الذي وهبه الله للمسلم ووسيلة لنيل مغفرة الله ﴿ولا يأتلِ أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين...﴾ [النور: 22].

* **تلاوة القرآن وسماعه..** ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ [فاطر: 29].

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تفلحون﴾ [الأعراف: 204].

* **وذكر الله سبحانه وتعالى على كل حال وفي كل وقت تقريبا:** ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: 152].

وهو يشمل التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير...

ـ ثالثا: الدعوة إلى فعل الخير:

قال تعالى: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ [الحج: 77]، وقال تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ [البقرة: 1].

فما من فضيلة إلا دعا القرآن للتمسك بها، وما من رذيلة إلا دعا إلى الإبتعاد عنها.

فقد أمر بأداء الأمانة والصدق والوفاء بالعهد والإحسان إلى الجار والناس عموما، وبر الوالدين والرحمة بالأبناء، وصلة الرحم، والعدل بين الناس، والعفو عن الظالم، والعفاف والكرم، والمروءة، والتعاون على البر والتقوى والإصلاح بين الناس...

قال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها...﴾ [النساء: 58]. ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾ [الإسراء: 34]. ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: 90]. ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾ [النساء:36]. ﴿فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾... ﴿وقل ربِّي ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء: 24-23].

﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ [النساء: 1]. ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ [النساء: 58].

﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: 126] ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [المعارج: 29].

﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [النور: 33] ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: 2].

﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء: 114].

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر: 10].

ـ رابعا: الإبتعاد عن الرذيلة والشر:

فقد نهى القرآن عن الإثم والشر عموما فقال تعالى: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة: 210] ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...﴾ [التوبة: 71].

كما نهى عن القتل ﴿أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ [المائدة: 32].

وعن السرقة ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [المائدة: 38]، والخيانة ﴿ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾ [الأنفال: 27]، والسخرية ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ [الحجرات: 12]، والغيبة ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات: 12]، والنميمة ﴿هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم...﴾ [القلم: 11-10].

وسوء الظن ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسّسوا﴾ [الحجرات: 12]، والعجب والخيلاء ﴿واقصد في مشيك﴾ [لقمان: 19]، والزنا ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء: 32]، واللواط ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ [البقرة: 166-165]. وشرب الخمر ولعب الميسر ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة: 90]. وغيرها...

ـ خامسا: الأمر بتزكية النفس وإلزامها بالحق والهدى

وتأديبها بأوامر الله عزوجل والابتعاد بها عن الهوى والباطل ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها﴾ [الشمس: 10-7].

﴿فأما من طغى واثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: 41-37].

﴿إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ [الليل: 10-7].

ـ سادسا: زرع العزة في قلوب المؤمنين

ذلك لأنه كما قال الله سبحانه ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون:8]. فالمسلم عزيز قوي يعتز بربه وبرسوله وبدينه الذي كرمه وفضّله على سائر المخلوقات ﴿لقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء: 70]. وأسجد ملائكة السماء لأبينا آدم عليه السلام تكريما وتحية وتشريفا.

والمسلم عزيز لأنه قوي بإيمانه وبروحه وعقيدته مبتعل عن الكفار الذين وصفهم بأنهم ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ [الأعراف: 179]، ﴿إن شر الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون﴾ [الأنفال: 22].

منهم كالدوابّ ولو كانوا حائزين على أعلى الشهادات والدرجات لأنهم لم يصلوا إلى ربهم سبحانه وتعالى، وهو موجود في كل مكان، ولو راجعوا فطرتهم لوجدوها معترفة به سبحانه وتعالى.

ـ سابعا: ملء النفوس بالصبر والرضا

وهما من أكبر روافد الإيمان والسعادة في الدنيا حيث إن النفس الصابرة الراضية بقضاء الله وقدره تعيش في سعادة دائمة وسكينة مستمرة، ﴿وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة: 155].

ووعدهم بأوفر الجزاء على الصبر ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: 10]. كما بيّن لهم أن اختيار الله سبحانه وتعالى للإنسان خير من اختياره لنفسه ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: 216].

وقال تعالى في شأن الرضا: **﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** [المجادلة: 22].

وهكذا فالمؤمن يعيش بين شكر ورضا وصبر **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾** [الأنعام: 17].

ومن دوافع الرضا الشعور بنعم الله سبحانه وما أكثرها، ومنها نعمة الخلق **﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾** [الإنسان: 2] ونعمة التصوير في أحسن صورة **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾** [التين: 4].

ونعمة العلم: **﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾** [العلق: 5]. ونعمة النطق **﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾** [الرحمن: 43] ونعمة الرزق **﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾** [فاطر: 3]. ونعمة الإيمان **﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾** [الحجرات: 7] ونعمة الأخوّة **﴿فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾** [12] [آل عمران: 103].

وقال ﷺ «إن الله عزوجل بقسطه جعل الفرح والروح في الرضا واليقين، وجعل الغمّ والحزن في السخط والشك» وقال ﷺ «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» كما حث القرآن المسلم على التمسك بالإيمان بالقدر، وأخبره أن كل ما يجرى من أمور هي بتقدير الله عزوجل فيعرف المسلمين (أن ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عجماء ولا خبط عشواء، ولكنه وفق قدر معلوم، وقضاء مرسوم، وحكمة أزلية، وكتابة إلهية فآمنوا بأنه ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم[13].

ـ ثامنا: ذكر قصص الأنبياء والرسل

قصّ القرآن على المؤمنين تجارب الأمم السابقة والأنبياء والرسل، وما جرى بينهم وبين قومهم من دعوة وحوار وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وما تعرض له أولئك الرسل ـ الذين هم أشرف خلق الله ـ من الإيذاء بالقول، واليد،

وكيف أن بعضهم كُذّب وبعضهم قتل وبعضهم هاجر وترك وطنه «وكل ذلك له أعظم الفوائد في ترسيخ الإيمان واليقين وتثبيت العقيدة في نفوس المسلمين اقتداء بالأنبياء والصالحين، وسيرا على طريق ممهدة مألوفة لا طريق مجهولة وعرة قال تعالى **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾** [يوسف:3]. وقال **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه تفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾** [يوسف:111].

وهكذا امتلأ كتاب اللّه بقصص آدم ونوح وإدريس، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وموسى، وعيسى... وصدق اللّه سبحانه ففي قصصهم: عبرة لمن يعتبر، وفي قصصهم هدى ورحمة للمؤمنين، وفيه تصديق واثبات لصدق الرسول ﷺ وفي قصصهم تفصيل للحياة من مبدأها، واطمئنان لسلف الإنسان وتاريخه القديم وفيه تُربية للمؤمنين على ما تربى عليه أسلافهم من آدم إلى محمد ﷺ وفيه حث على الصبر كما قال ابن القيم رحمه اللّه في معرض التبكيت لمن لا يصبرون «يا مخنث العزم الطريق تعب فيه آدم، وناح فيه نوح، وألقي في النار إبراهيم، وتعرض للذبح إسماعيل ونشر بالمنشار زكريا وذبح السيد الحصور يحي».

المبحث الثاني

ـ التربية العقلية ـ

لا يوجد كتاب عبر عقب التاريخ، سماويا كان أو أرضيا كرّم العقل ورفع من شأنه كالقرآن، الذي أهتم بالتربية العقلية اهتماما منقطع النظير والدليل على هذه الدعوة تغيير حال العرب بالكامل من الشتات والتمزق والجهل إلى الوحدة والقوة والعلم والحضارة في غضون سنوات قليلة بعد أن شرفهم اللّه سبحانه وتعالى بإنزال هذا الكتاب على نبي منهم **﴿هو الذي بعث في الأميين**

رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [الجمعة: 2]. ويتبين اهتمام القرآن بالتربية العقلية في النقاط التالية:

1ـ الاهتمام بالعلم وجعله فرضا على المسلمين:

ويكفي أن نعلم أن أول كلمة نزلت من السماء على قلب النبي ﷺ هي قوله تعالى **﴿اقرأ﴾** لتدل على أن هذا الدين هو دين القراءة والكتابة.. وفي نفس السورة يقول الله سبحانه **﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾** [العلق: 5-3].

وقد مدح الله سبحانه وتعالى العلماء وذكر أنهم أكثر الناس إيمانا ويقينا بالله فقال سبحانه **﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾** [آل عمران: 7].

وقال سبحانه **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** [فاطر: 28].

وقال سبحانه **﴿شهد الله أن لا الله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط...﴾** [آل عمران: 18].

وأمر الله سبحانه وتعالى أن يرجع لأهل العلم والفقه عندما تضطرب الأمور ويقف الناس حيرى أمامها فقال **﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** [النساء: 83].

وقال تعالى **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** [الأنبياء: 7]. وذكر الله سبحانه وتعالى إن كثيرا من الحقائق والنظريات لا يتوصل إلى معرفتها إلا العلماء فقال **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾** [العنكبوت:43].

ثم ذكر الله أفضلية العالم عن الجاهل بوضوح عندما قال **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾** [الزمر: 9].

وقال ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ [المجادلة: 11].

وقد قال النبي ﷺ لا حسد إلا في اثنتين: «رجل آتاه اللّه مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها...» (14).

وقال ﷺ «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل اللّه له طريقا إلى الجنة...» (15).

2ـ الأمر بتعليم الناس وتفقيههم:

قال تعالى ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينّه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**﴾ [البقرة: 158]. وقال تعالى ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم**﴾ [البقرة:172]. وقال تعالى ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننه للناس ولا تكتمونه**﴾ [آل عمران: 187].

هذه الآيات أمرت بنشر العلم وذمت كتمانه وذكرت أن الذين يكتمون العلم لكي يصيبوا به المال فأن مالهم حرام، وما يأكلون إلا النار شأنهم شأن أكلي أموال اليتامى... أما الأحاديث كثيرة جدا منها قوله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» (16). وقال ﷺ: «من تعلم علما مما يبتغي به وجه اللّه عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدينا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» (17) وغيرها من الأحاديث، ويكفي أن نعلم أن الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي اللّه عنهم لم يكونوا يأخذون أجورا على تعليم الناس، وكذلك الأنبياء السابقين قال تعالى ﴿**لا أسألكم عليه أجرا**﴾ [الأنعام:90] وهذه هي مجانية التعليم فعلا لا قولا...

وقال تعالى ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ [التوبة: 122]. فهذه الآية دلت على وجوب طلب العلم وعلى وجوب نشره كما قال القرطبي رحمه اللّه... (18).

3ـ ذم الجهل والجاهلين:

بعد أن حث القرآن على العلم ومدح العلماء، اتجه إلى الجهلة فذمهم وقرع آذانهم بكثير من الآيات، لأن الجهل ظلام والجاهل بعيد عن النور والإيمان قريب من الشيطان حتى ولو كان عابدا متقشفا... قال تعالى **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** [الأعراف: 199].

ومعناها كما قال القرطبي «الحرص على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء و...».

وقال تعالى **﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾** [هود: 46].

وقال تعالى **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** [الفرقان: 63].

ويكفي أن نعلم أن شرعنا الكريم جعل العلماء أئمة في كل شيء والجهلة ينبغي ألا يكونوا إلا تبعا للعلماء فقال ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة...» (19).

وقد قال الإمام علي رضي الله عنه «الناس ثلاثة عالم ناج ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم...».

ما الفخر إلا لأهل العلم وإنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء (20)

4ـ تكريم حواس الإنسان:

أ- أول هذه الحواس العقل الذي ميز الله به الإنسان ومدح الذين يفكرون بعقولهم ويستخدمونها في عبادة الله والتفكير في الكون وعمارة الأرض والإبداع العلمي والحضاري.

قال تعالى ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [190].

وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق: 27].

أي لمن كان له عقل راجح، وألقى سمعه لاستماع القرآن بقلب شاهد حاضر. وسواء كان مكان العقل الدماغ كما رأى أبو حنيفة أو القلب كما رأى الشافعي استنادا على الآية السابقة فإنه ممدوح من قبل الله سبحانه وتعالى وقد قال النبي ﷺ «أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له: اكتب. قال ما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وماهو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت» [21]. واحتراما للعقل واعترافا بأهميته ووظيفته الجوهرية بالنسبة للإنسان حرم الله سبحانه كلا من: شرب الخمر بقوله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه...﴾

والتقليد الأعمى: قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ [البقرة: 17].

ثم ذكر الله سبحانه مصيرهم السيء الذي آل بهم إلى جهنم بسبب التقليد «وقالوا ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل».

ووضح النبي ﷺ هذا النهي وبين أن تقليد الناس في الأمور الحسنة مطلوب عكس الأمور السيئة فقال «لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن ليقل أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا تجاوزت عن إساءتهم».

دعا إلى التفكير العميق والتأمل في أرجاء الكون، وفي كتاب الله عزوجل أو بعبارة أخرى كتاب الله المسطور "القرآن" وكتاب الله المنشور "الكون" قال تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ أي

التفكير الانفرادي بأنه يراجع الإنسان عقله لوحده مع اللّه في كونه، أو الثنائي عن طريق الحوار والسؤال بين اثنين للتوصل إلى الحقيقة، وهي أكثر أنواع التفكير جدوى وهوما يطلق عليه بالدعوى الفردية والذي كان يفعله الأنبياء - عليهم السلام قال تعالى على لسان نوح **﴿ربي إني دعوت قومي ليلا ونهارا... ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا﴾** [نوح]. قال ابن كثير: نوع عليهم الدعوة لتكون أنجح [22]. وقال القرطبي: وأسررت لهم: أتيتهم في منازلهم [23]. فالذهاب بالمدعو بعيدا عن أعين الناس أبلغ في التأثير في حين أن اللقاء مع المدعو أمام أعين الناس قد يسبب حرجا [24].

رفض إيمان الخوف والمصلحة أو النفاق، وذكر أنه لا ينفع صاحبه يوم القيامة ودعا إلى الإيمان الثابت عن يقين فقال تعالى: **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾** [البقرة: 157]. وغيرها من الآيات التي دعت إلى حرية الدين، ولم يثبت أن أحدا من أمراء الإسلام أجبر أحدا على الدخول في دين الإسلام.

أمر باستخدام العقل في الدعوة، بالإستدلال والبرهنة حتى تعطي الدعوة أحسن النتائج ورفض أسلوب القوة الذي كان سائدا بين الأمم في ذلك الوقت قال تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** [النحل: 125]. وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام **﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون...﴾** [الانعام: 78-76]. وهذا أسلوب في التنزل مع المدعو والتدرج معه حتى يتوصل إلى إبطال مدعاه وإقامة الحجة عليه، ومعاذ اللّه أن يكون هذا هو معتقد إبراهيم عليه السلام. قال الرازي: إن هذه الواقعة إنما حصلت بسبب مناظرة بين إبراهيم عليه السلام مع قومه، والدليل عليه أن اللّه تعالى لما ذكر هذه القصة قال «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه» ولم يقل عن نفسه.. [25].

وقال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [يوسف: 108].

ب ـ السمع والبصر:

امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بنعمة السمع والبصر في كثير من المواضع منه قوله تعالى: ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ [الملك:23].وفي [سورة المؤمنين:78] ـ وفي [سورة النحل:78].

وأمر الله الإنسان باستخدام هذه الحواس وتوظيفها في مجال الخير قال تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ [الروم: 23]. وكل من سمع هذا علم أن النوم عجيبة من فعل الله تعالى لا يقدر الإنسان على اجتلابه إذا امتنع ولا على دفاعه إذا ورد.. (26).

﴿وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: 285]. وقال تعالى: ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر: 18]. وقال تعالى ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [القصص: 55].

وفي مجال النظر قال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ [يونس: 101].

وقال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ [القصص: 71].

جـ ـ اللسان أو النطق:

وهو من مميزات الإنسان قال تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين﴾ [البلد: 9-8].

وقال تعالى: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ [الرحمن: 4-3]. ولذلك دعا موسى عليه السلام أن يمن عليه ربه بلسان فصيح يدعو به قومه فقال: ﴿واحلل عقدة من

لساني يفقهوا قولي﴾ [طه: 27]. **﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني﴾** [القصص: 34].

هذا قليل من كثير من الآيات التي مدح الله فيها حواس الإنسان وأمره باستخدامها في الوقت الذي بكت فيه المتجاهلين الذين تشبهوا بالبهائم في غلق أفكارهم وطمس أبصارهم وجعل أصابعهم في آذانهم، ولي ألسنتهم باللغو والباطل فقال تعالى: **﴿صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون﴾** [البقرة: 171]. **﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾** [فصلت: 5]. وغيرها من الآيات.

5ـ تكريم أدوات الكتابة ووسائلها:

وهذه الجزئية تلحق بسابقتها وهي معروفة ومعلنة وصريحة لأنها صاحبت نزول القرآن من أول سورة قال تعالى: **﴿الذي علم بالقلم﴾** [العلق: 4]. وقال تعالى يقسم بالقلم وبالدواة، ولا يقسم الله سبحانه وتعالى إلا بعظيم **﴿ن والقلم وما يسطرون﴾** [القلم: 2-1]. قال القرطبي: أقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من السماء ومن في الأرض، ومنه قول أبي الفتح البستي:

إذا اقسم الأبطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم (27)

"وما يسطرون" أي ما يكتبون قيل: الملائكة، وقيل: الناس.

وقال تعالى: **﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور﴾** [الطور: 3-1].

وقد ذكر النبي ﷺ أن أول شيء خلقه الله سبحانه وتعالى هو القلم، وهذا كاف للدلالة على شرف الكتابة، وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى أمر بالكتابة فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل﴾** [البقرة: 282].

وذكر أن الملائكة تكتب أعمال الإنسان منذ بدء الخليقة إثباتا له واحتجاجا عليه يوم القيامة، وذكر الله سبحانه وتعالى أنه ما من أمة إلا وبعث إليها رسول يحمل كتابا، وهذا يدل على شيوع الكتابة بين الناس جميعا، كما نهى الله سبحانه عن اتخاذ الكتابة وسيلة لتحريف شرع الله أو ظلم الناس وغشهم فقال تعالى: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾** [البقرة: 79].

وإذا كان القرآن أمر الإنسان باستخدام حواسه، وأمره باستخدام أدوات الكتابة ووسائلها، بالنظر في الكون والتدبير فيه، فأكرم به من كتاب أقل ما يقال في وصفه. إنه كتاب علم وحضارة وتقدم.

6ـ دعوته للتبحر في جميع العلوم:

إن التاريخ يذكر بصدق أن القرون الوسطى التي يعبر عنها الأوربيون بالقرون المظلمة كانت أوربا منغلقة على نفسها تحارب الكنيسة العلم وتقف في وجهه بالمرصاد، كان المسلمون في ذلك الوقت قد بلغوا الذروة من التقدم والحضارة والرقي، وما ذلك إلا لتطبيقهم لما جاء به القرآن الكريم من أوامر بطلب العلم واكتشاف العالم...

لقد أمر الإسلام بالتبحر في كافة العلوم باستثناء علم السحر والكهانة لأنها إدعاء كاذب لمعرفة الغيب بسبب الضرر والأذى للناس **﴿يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾** [البقرة: 102]. أما العلوم التي أمر القرآن بتعلمها فهي:

1ـ **علوم اللغة:** قال تعالى: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها...﴾** [البقرة: 31]. والأسماء هنا هي اللغات على المشهور [28]. وقال تعالى: **﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾** [النساء: 67].

والقول البليغ يحتاج إلى علم باللغة والأدب والمران على الكلام... وقال تعالى: ﴿**وأخي هارون هو أفصح مني لسانا**﴾ [القصص: 34].

وقال تعالى: ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾ [الزخرف: 3]. وفهم القرآن العربي يحتاج إلى فهم البلاغة والنحو والآداب والعروض... وقد كانت نشأة هذه العلوم من أجل المحافظة على القرآن الكريم وفهمه والمحافظة على لغته التي أنزل بها، فالدعوة للبلاغة والفصاحة العربية في القرآن هي دعوة وأمر لطائفة غير قليلة من هذه الأمة بتعلم النحو والأدب والبلاغة والصرف والعروض...

2ـ **علم القانون:** حيث إن القران يعتبر دستور المسلمين وقد احتوى على مئات الآيات في جميع مجالات القانون والشريعة قال تعالى: ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾ [المائدة: 49]. وقال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ [النساء: 65]. والشريعة الإسلامية بشمولها جاءت بأحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية أو أحكام المعاملات بأنواعها، التجارية والزراعية والديون والشركات... والعقوبات والحدود...

3ـ **علم الفرائض أو الميراث:** حيث جاء مفصلا في كتاب الله تفصيلا دقيقا وثابتا مع قلة الآيات التي تكلمت عنه مقارنة بحجم هذا العلم.

4ـ **علم الحيوان:** قال تعالى: ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة**﴾ [النحل: 67].

وقال تعالى: ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت...**﴾ [الغاشية: 17]. ولنقف عند هذه الآية قليلا. حيث إنها تفيد التأمل في هذا الحيوان والذي ظهرت فيه عجائب انفرد بها فهو أكثر الحيوانات حنينا ورحمة حتى قال النبي ﷺ: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين» وهو أكثرها تحملا للجوع والعطش والحر حتى لقب عن جدارة بسفينة الصحراء، وهو أكثرها حياء، حتى إن الفحل منها لا يطأ أمه على الإطلاق. وهو أكثرها حقدا وأخذا للثأر إذا ظلم، وهو الحيوان الذي لا يحمل مرارة بكبده، هذا علاوة على شكله الظاهري المختلف عن سائر الحيوانات...

وقال تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: 8]. وقد ذكر في كتاب الله أسماء كثيرة من الحيوانات والطيور والحشرات.. كالفيل والبقرة والجمل والبغل والحمار والحصان، والضأن والمعز، والخنزير، والكلب والهدهد، والجوارح، والعنكبوت والنمل والنحل والبعوض وقال تعالى: ﴿وما من طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ [الأنعام: 38].

5ـ علم التشريح والطب: قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: 21]. وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فجعلنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: 14-12].

وفي الطب قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: 195]. وهي مرادفة لقولهم الوقاية خير من العلاج. وقال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ [الأعراف: 31]. والاقتصاد في الأكل يؤدي إلى السلامة من الأمراض حيث إن المعدة بيت الداء، ولذلك اعتبر الصوم أحسن علاج لكثير من الأمراض، قال تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ [النحل: 68].

وقد قال النبي ﷺ: «في الحبّة السوداء شفاء من كل داء» [29]. وقد ثبت أن للحبة السوداء فائدة عظيمة لكثير من الأمراض حيث أنها تقوي جهاز المناعة الذي يؤدي بدوره لوقاية الجسم من كثير من الأمراض وقد أثبت ذلك عالم أمريكي مسلم بعد تجارب كثيرة [30]. وأمر النبي ﷺ ناسا من الأعراب أصابهم المرض في المدينة «أن يشربوا من أبوال الإبل وألبانها أعطاهم أياها» فكانت سبب شفائهم، وقد ثبت الآن أن في بول الإبل مادة هرمونية تفيد في علاج قرحة المعدة [31].

والكلام يطول في هذا الجانب وقد ألف فيه العلماء الكتب كابن القيم وغيره.

6ـ **علم الجغرافيا والفلك والحساب والجيولوجيا:** قال تعالى: ﴿**هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب**﴾ [يونس: 5]. وقال تعالى: ﴿**أو لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما**﴾ [الأنبياء:30]. وقال تعالى: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون...**﴾ [يس: 40]. ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**﴾ [النحل: 88]. وغيرها من الآيات الكثيرة التي تكلمت عن الأرض والسماء والنجوم والكواكب والجبال و...

7ـ **علوم النبات: قال تعالى:** ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل**﴾ [الرعد: 4]. ﴿**إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيه حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا**﴾ [عبس: 31-25]. وغيره من الآيات الكثيرة.

8ـ **علم التاريخ:** ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**﴾ [الروم: 9]. وقال تعالى: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ [يوسف: 4]. ومن هذا القبيل ذكر قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم والأمم البائدة والحضارات الماضية وغير ذلك.

9ـ **علم البحار والبحرية:** ﴿**وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام...**﴾ [الرحمن]. ﴿**أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ [النور: 40]. ﴿**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**﴾ [الرحمن: 20-19]. ﴿**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه...**﴾ [النحل: 14].

10ـ **علوم الجيش والجندية:** ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف: 4]. وهي تدل على النظام والإعداد العلمي المدروس.

وقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال:60]. ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا﴾ [النساء: 71]. وهذه الآية تدل على حسن الاستطلاع، وعلى فنون القتال بجيش ملتحم كبير أو بتجمعات متفرقة...

11ـ **علوم الصناعة المختلفة:** كصناعة المعادن والبناء والزراعة والملاحة... قال تعالى: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ [الرعد: 17]. وقال تعالى: ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ [الكهف: 96]. ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ [هود: 37]. ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا﴾ [القصص: 38]. ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ [الحديد: 25]. وقال تعالى: ﴿كل بناء وغواص﴾ [ص: 37].

﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾ [سبأ:13]. ﴿تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون﴾ [يوسف: 97].

والتجارة ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ [النساء: 29].

وتوثيق المعاملات ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ [البقرة: 292]. وهذه قطرة من بحر القرآن العظيم الذي لا يكفيه مداد ولا يحصيه عاد.

12ـ **علوم الحكم والسياسة:** قال تعالى في مجال اختيار ولي الأمر وأهم أوصافه على لسان ابنة شعيب ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص: 26]. وقال تعالى على لسان يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ [يوسف: 55]. فدلت الآيات على ضرورة أن يكون ولي الآمر قويا جسدا ونفسا أمينا على الأمة... وقال تعالى: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ [البقرة: 247]. وقال تعالى منوها بالشورى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى: 4]. ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران: 59] وقال تعالى: ﴿يا أيها

الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون﴾ [النمل: 32].

وقال تعالى في شأن طاعة أولي الأمر **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...﴾** وقال تعالى: **﴿قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين﴾** [النمل: 33]. وقال تعالى: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾** [ص: 26].

المبحث الثالث
التربية البدنية

اهتم القرآن اهتماما بالغا ببدن الانسان وصحته، ولا عجب في ذلك فالله سبحانه خلق الإنسان لعبادته وهذه العبادة لا تتأتى الا في حالات القوة والنشاط، وانطلاقا من أهمية التربية البدنية أمر القرآن بمايلي:

1- أمر القرآن بإعداد القوة لجهاد الأعداء بقوله تعالى: **﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...﴾** [الأنفال: 60]. والقوة هنا ظاهرها القوة الجسدية وإن كانت تتضمن القوة الإيمانية والفكرية، وكلمة (القوة) تشمل العناية باللياقة البدنية، وإتقان فنون القتال، والتسلح بآلاته المختلفة، والمحافظة على الجسم بوقايته من الأمراض والمبادرة إلى مداواته وعلاجه إذا دب إليه المرض كما كان يفعل صحابة الرسول ﷺ في الغزوات وغيرها. وقد ذكر النبي ﷺ أن «المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف» ومدح الله سبحانه وتعالى الأقوياء وقدمهم على غيرهم في مجال القيادة فقال في شأن طالوت **﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾** [البقرة].

وقال في شأن موسى **﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾** [القصص: 26]. وقال في شأن داود **﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة﴾** [البقرة: 251]. وقال في شأن محمد وأصحابه **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** [الفتح: 29]. وقال في شأنهم أيضا **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما**

عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) [الأحزاب: 23]. وكلمة (رجال) هنا ذات معنى كبير وهي تعني كمال الرجولة من قوة وإيمان وتضحية، ورحمة وثبات...

2- اعتراف القرآن بحاجة الجسم للطعام والشراب، وأن يكون متنوعا، فأحل اللحوم، والخضر والفاكهة، والحبوب، والألبان والعسل... واستثنى القرآن بعض المحرمات وهي قليلة مقارنة بالحلال، وتتمثل في الميتة والدم، ولحم الخنزير، وشرب الخمر والنجاسة... أما ما عداها فحلال قال تعالى: **(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** [الأعراف: 32]. **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)** [النحل: 5]. **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا)** [الأنعام:14]. **(فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم)** [عبس: 32-27]. **(لبنا خالصا سائغا للشاربين)** [النحل: 66].

3- أمر القرآن بالاقتصاد في الأكل والشرب وعدم الإسراف فيهما، لأن ذلك يؤدي إلى المرض، وإلى التعود على البذخ والترفه والركون إلى الحياة الدنيا قال تعالى: **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** [الأعراف: 31].

وفي هذا الإطار أمر القرآن بالصوم لكي يتعود به المسلم على قلة الطعام والصبر على الجوع، وهو راحة تمنح للمعدة كل سنة من أحسن إستعمالها بعدم إرهاق المعدة ليلا كان له أعظم فائدة على صحة الجسم ولذلك قال النبي ﷺ «صوموا تصحوا» وقد ثبتت فوائد كثيرة للصوم ليس هنا مجال سردها..

4- حرم القرآن بعض المأكولات والمشروبات التي تضر بصحة الإنسان وعقله، وتجعل منه إنسانا خاملا مستسلما للمرض: فحرم الميتة والدم ولحم الخنزير، **(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)** [المائدة: 3]. وحرم الخبائث التي تضر بالإنسان **(يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)** [الأعراف: 157]. وحرم شرب الخمر **(إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**

لعلكم تفلحون﴾ [المائدة]. ويتبع الخمر كل مسكر ومخدر يشترك معها في نفس العلة، كما أن المعيار في تحريم الأطعمة والأشربة هو الضرر أو الإسكار، فإذا ثبتت أحدهما حرم الطعام أو الشراب ولذلك قال الله تعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** [البقرة: 195].

5ـ أمر الإسلام بالتداوي والتمريض: ـ وقد بين الرسول ﷺ أن «لكل داء دواء إلا السام» أي الموت، وهذا الحديث لا يحفز المرضى على البحث عن الدواء فحسب، ولكنه يدفع الأطباء والصيادلة وعلماء الأدوية إلى البحث عن الأدوية المناسبة لكل مرض، طالما أن الصادق ﷺ أخبر أنه لابد أن يكون هناك دواء لكل مرض، وفي هذا المجال يقول الله تعالى عن العسل **﴿فيه شفاء للناس﴾** [النحل:69]. ويقول النبي ﷺ: «الحبة السوداء شفاء لكل داء» وقد ثبتت فاعلية كل من العسل والحبة السوداء كعلاج لكثير من الأمراض، وما أكثر الأحاديث التي احتوت على وصفات طبية وأدوية فعالة لكثير من الأمراض عندما يحسن استعمالها.

6ـ أباح الزواج ولم يصادم الغريزة الجنسية الموجودة في الإنسان، فنهى عن التبتل أي الانقطاع للعبادة ـ والخصاء ـ أي قطع الشهوة بسل الخصيتين، فلا يحل لمسلم أن يعرض عن الزواج مع القدرة عليه بدعوى التبتل لله أو التفرغ للعبادة والترهب والانقطاع عن الدنيا قال تعالى: **﴿وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾** [النساء: 3]. وقال تعالى: **﴿فانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾** [النور: 32]. فأباح الإسلام إذا الزواج كمسلك وحيد من مسالك إفراغ هذه الغريزة وحرم ماعداه من الزنا واللواط والسفاح والمتعة، والاستمناء بقوله تعالى: **﴿الذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾** [المعارج: 31-29]

والله بعدله وواقعيته يعلم أن شهوة الرجل أقوى من شهوة المرأة، فقد لا تلبي امرأة واحدة للرجل شهوته خاصة وأنها تمر بفترات حيض وحمل ونفاس

فأباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع حسب حاجته وبشرط العدل بينهن، فإذا لم يتحقق العدل حرم عليه ذلك.

7ـ مشروعية اللباس والسكن: وعرفانا للمسلم بضرورة اللباس والبيت الذي يقي الإنسان الحر والبرد، ويستره عن أعين الناس، ويجعله يظهر بمظهر جميل مقبول، أمر الإسلام الإنسان باللباس قال تعالى: **﴿يا بني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم﴾** [الأعراف: 26]. وقال تعالى: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** [الأعراف: 31]. وقال تعالى: **﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾** [النحل: 81]. ومعلوم أن اللباس يقي الإنسان البرد والحر، فيحافظ على جسمه سليما معافى ـ وهذا اللباس مشروع بشرط ألا يكون فيه خيلاء وتكبر أو لبس للذهب والحرير بالنسبة للرجل، أو تزين امرأة لغير زوجها، أو تشبه رجال بالنساء أو نساء بالرجال كما هو مفصل ومعروف..

والسكن أو البيت الذي يكن المرء من عوادي الطبيعة، فيستريح فيه جسده وتسكن فيه نفسه، ويحميه من البرد والمطر والحر، والاعتداء مطلوب للإنسان لكي يحافظ على نفسه ودينه وعرضه.. قال تعالى: **﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا..﴾** [النحل: 80].

وهذا كله من أجل المحافظة على الإنسان وحمايته من اعتداء الغير طبيعة وبشرا بأي شكل من أشكال الإعتداء.

المبحث الرابع

ـ التربية الاجتماعية ـ

إن التربية الاجتماعية جانب من أهم جوانب التربية، وذلك أن القرآن لا ينظر إلى الفرد نظرة انفرادية، وإنما ينظر إليه كجزء من مجتمع مسلم يعبد الله عزوجل، لذلك تكرر لفظ (جميعا) وأجمعين، والجمع...وما شابهها عشرات المرات في كتاب الله؛ فالإنسان مخلوق اجتماعي مدني لا يستطيع العيش

بمعزل عن بني جنسه كما قرر علماء الإجتماع وكما فسر ابن خلدون في مقدمته لأنه لا يستطيع أن يقوم بجميع الحرف والصناعات وحده لكي يحصل على طعامه وشرابه ولباسه، فهو يجب أن يقوم بالحرث والزراعة والري والجني والطحن، والعجن والخبز والطهي لكي يحصل على رغيف من الخبز، علاوة على الآلات التي سيستخدمها في كل هذه الحرف... واللّه سبحانه وتعالى أشار إلى هذا عندما ذكر أنه خلق عباده في درجات متفاوتة ليقوم كل واحد بوظيفة معينة داخل المجتمع فقال: **﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾** [الزخرف: 32]. أي أنه سخر بعضهم لخدمة بعض مع اختلاف درجاتهم فالطبيب مثلا يعالج الفلاح والراعي والطحان والخباز.. لكي يحصل على الخضر واللحم والخبز هكذا... واهتماما بالتربية الاجتماعية فقد وضع الإسلام لها أسسا كالتالي:

1- اهتم بالفرد باعتباره أول لبنة من لبنات المجتمع، وهذب نفسه، وملأها بالمبادئ السامية التي تجعله يشعر بالمحبة والاحترام لبني جنسه عامة بغض النظر عن المصالح التي يجنيها من ورائهم، ولأنه لا يستطيع أن يعيش إلا بينهم، والآية السابقة أدل دليل على ذلك **﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾** هذا الفرد سواء كان زوجا أو زوجة أو أبا أو ابنا أو أخا أو عما أو جارا أو غير ذلك هو عضو من أعضاء هذا المجتمع الذي هو كما قال النبي ﷺ «كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وهو «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

2- اهتم بالأسرة وأمر ببنائها على قواعد متينة وسليمة من تقوى اللّه عزوجل وعبادته من أول يوم فقال تعالى يأمر بحسن اختيار الزوجة والزوج معا فقال تعالى: **﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾** [البقرة: 221]. وإذا كان اللّه سبحانه حرم نكاح المشركات أو المشركين فلا شك أن المتدينات والمتدينين هم الذين ينبغي أن يقصدوا عند الزواج وهو

الأمر الذي بينه النبي ﷺ وذكر أن سعادة الإنسان وتفاهمه الأسرى وحسن أبنائه يقوم على الزوجة الصالحة أو الزوج الصالح. وإلي حسن الاختيار أشار الله سبحانه بقوله: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾** [النور: 32]. فذكر الصلاح هنا هو الإيمان والدين، وفي الآية أمر بعدم الالتفات إلى المال والإمكانيات المادية أو العرقية والسياسية.

واعتبر الإسلام الأسرة بمثابة السفينة التي لا تقاد إلا بربان واحد وأعتبر الزوج هو ربان الأسرة وألزم الزوجة بطاعته، فإذا غاب الزوج فالزوجة هي ربة البيت، ولذلك فإن الزوجة من واجباتها أن تهيء لزوجها أسباب الراحة المتنوعة وأن تربي أبناءه وترعاهم، وأن تكون له كما قال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾** [الروم: 21]. وفي المقابل فإن الزوج يجب أن يعمل خارج البيت ويوفر للزوجة والأبناء ضروريات الحياة المختلفة، فلا يتركهم عالة يتكففون الناس، كما إنه يجب عليه أن يحترم زوجته ولا يؤذيها، ويحسن معاشرتها وقد بلغ القرآن الذروة في الدعوة لاحترام الزوجة عندما أذن للمسلم أن يتزوج الكتابية وهي محافظة على دينها ولا يكرهها على فراقه - مع العلم أن المسلمة أفضل منها كما سبق أن ذكرنا.

وعندما شرع الإسلام الطلاق شرعه كحل نهائي لا محيص عنه، يأتي بعد روية وتفكير بدون عجلة أو ظلم، فنهى عن طلاق المرأة وهي حائض، ونهى عن مضارة الزوجة لكي تطلب الطلاق، كما نهى عن الحلف على هجرها أو ظهارها، وأمر أن تبقى المطلقة في بيت الزوجية مدة العدة وأن يكون الطلاق مرة بعد مرة... قال تعالى: **﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾** [الطلاق: 2]. وقال تعالى: **﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾** [الطلاق: 1]. وقال تعالى: **﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾** [البقرة: 241]...

وقد كان الرجل قبل الإسلام يغضب على امرأته فيطردها من داره محقا

أو مبطلا دون أن تملك المرأة له دفعا أو تأخذ منه عوضا، عند العرب أو الرومان أو اليهود، أما المسيحيون فقد شذوا بتحريم الطلاق إلا إذا زنت المرأة ولذلك أضطر أتباعهم في أوربا وأمريكا للخروج من تعاليم دينهم وإباحة الطلاق في قوانينهم الوضعية إباحة مطلقة، لأنه إذا تعسرت الحياة بين الطرفين فإنه لا حل إلا الطلاق كما قال الله تعالى: **﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾** [النساء: 120].

وفي إطار بناء الأسرة اهتم الإسلام بالأولاد وضمن له كثيرا من الحقوق منها: حق النسب، فالإسلام يحفظ الأنساب وينهى الأب عن الطعن في نسب ولده لشك أو عارض بسيط أو إشاعة خبيثة... أما إذا تأكد من ذلك وجزمت نفسه به فله أن يلاعن زوجته ويتبرأ منها فإن كان صادقا استحقت غضب الله، وإن كان كاذبا استحق لعنة الله سبحانه. ولذلك حرم الإسلام التبني لأنه قد يؤدي إلى ارتكاب الحرام إذ أنه يخلو ببنات البيت على أنهم أخوات وبنات أخوة وغير ذلك وهم في الحقيقة محارم عليه، كما أنه يؤدي إلى توريث البعيد وحرمان القريب، وهذا يؤدي إلى قطع الأرحام كما يؤدي إلى حقد الأقارب على هذا الدخيل... قال تعالى: **﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله...﴾** [الأحزاب. 5].

وقال ﷺ «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» [32].

أمر القران بالنفقة على الأبناء ورعايتهم والاهتمام بهم وذلك مأخوذ من نهى الله سبحانه عن قتل الأبناء خشية الفقر أو العار قال تعالى: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾** [الإسراء: 31] وقال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» [33]. وقال «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» [34].

كما أمرنا أن نعلم أبناءنا وأن نعودهم على الطاعة وأعمال البر وأداء الواجب منذ الصغر حتى يصير ذلك سجيتهم، وأن نجنبهم مزلات الفتن، حتى لا يجد الشيطان إلى إغرائهم سبيلا، والقرآن الكريم يقدم مثالا رائعا للوالد

الحكيم الناجح لولده المهتم بتربيته كيف يربي ولده على عقيدة التوحيد واحترام الناس والخلق الكريم والسلوك الحسن والآداب العامة... [35] قال تعالى: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن... يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور واقصد في مشيك، واخفض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** [19-13].

وقال تعالى مبينا حرص وشفقة نوح عليه السلام على ابنه ورغبته الشديدة في أن يكون مع المؤمنين **﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾** [هود: 42]. والله سبحانه أمرنا أن نعدل بين أبنائنا في الحب، والرعاية والنفقة والهدية والهبة، لأن الأب راع وهو مطالب بالعدل قال تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾**....

وقال ﷺ «اعدلوا بين أبنائكم» [36].

الدعوة للإقتداء بشباب الإسلام:

لقد قص القرآن علينا قصص بعض الشباب وثباتهم على العقيدة وتمسكهم بها وذلك لكي يقتدي بهم شباب الإسلام، فقص علينا القرآن قصة أصحاب الكهف الذين اعتزلوا قومهم لأنهم **﴿فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا﴾** [الكهف: 21-13].

وقصة يوسف عليه السلام وصبره على إيذاء أخوته، ثم صبره على إغراء امرأة العزيز التي راودته عن نفسها فأختار السجن على ارتكاب الفاحشة **﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾** [يوسف: 33].

ووقفة موسى ومناصرته لبني إسرائيل ومعاداة فرعون من أجلهم وهربه

إلى مدين ومساعدته للمرأتين، ودعوته لفرعون وقومه وصبره على بني إسرائيل ﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل قال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ [القصص: 25].

وقصة إبراهيم ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون..﴾ [الأنبياء: 21]. وغيرها من القصص، وكما ضرب أمثلة للفتيات المؤمنات بمريم الطاهرة العفيفة ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [التحريم: 12].

وبنتي شعيب الموصوفتين بالعفاف والحياء ﴿لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ [القصص: 24]. فهاتان الفتاتان اجبرتا على العمل لأن أباهما كان كبيرا ولكنهما حافظتا على الحياء فلا يزاحمن الرجال على الماء وينتظران رحيلهم ثم تسقيان الأغنام، وعندما أرسل أبوهما إحداهما لتدعو موسى - عليه السلام - ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾ [القصص: 26]. غير أن هذا ينبغي ألا يكون في غير محله فيمنع من الإدلاء بشهادة في وقتها وهذا ما حصل بالفعل عندما ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾ [القصص: 27].

وهكذا يضرب القرآن أروع الأمثلة للشباب الصالح والفتيات الصالحات، ثم يضرب الأمثلة أيضا على الأسر الصالحة كأسرة زكرياء الذين قال الله عنهم ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: 90]. وأسرة مريم أم عيسى ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا﴾ [مريم]، وآل إبراهيم وآل عمران ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ [آل عمران: 33]، وغيرها من الأسر الشريفة التقية المترابطة برباط الإيمان والتقوى.

دعا القرآن إلى بر الوالدين والإحسان إليهما، والرفق بهما، وطاعتهما في كل أمر ما عدا معصية الخالق عز وجل، قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه

وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء: 24-23]، والإسلام هو أول الأديان اعترافا بحقوق الوالدين وأمرا ببرهما ونهيا عن عقوقهما حتى إنه يجعله من أكبر الكبائر قال ﷺ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» [37] ومن مبالغة الإسلام في بر الوالدين أن أمر ببرهما حتى لو كانا كافرين بشرط عدم طاعتهما في الأمر بالكفر قال تعالى: **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك من علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾** [لقمان:15]، وهكذا فلا يضيع في ظل الإسلام كبير ولا صغير، حتى اليتامى الذين لا أسرة لديهم يأمر الإسلام بكفالتهم وينهى عن أكل أموالهم، ويعد من يكفلهم بالجنة، قال تعالى: **﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾** [الضحى: 9]، **﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم﴾** [الماعون: 2]، **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾** [الإنسان: 8]، **﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة﴾** [البلد: 16-15]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي دلت على التكافل والترابط الذي أمر به القرآن الكريم.

3. واهتم القرآن بالأرحام فأمر بصلتها، واحترام القرابة، قال تعالى: **﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾** [النساء: 1]، وقال تعالى: **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** [الأنفال: 75]، وقال تعالى: **﴿وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب...﴾** [النساء: 36]، «لأنه كما جاء في الحديث (الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة)» والجار ذي القربة «قال ابن عباس: والجار ذي القربى الذي بينك وبينه قرابة» [38]. وغيرها من الآيات الكثيرة التي اهتمت بوصل الأقارب والإحسان إليهم حتى يترابط المجتمع ويتآلف على أن لا يكون التعاون معهم على حساب الآخرين.

5ـ واهتم القرآن بالمجتمع عموما: حيث أمر بالأخوة الإسلامية فوصف المسلمين بقوله: ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾ [الحجرات: 10]، وامتن الله سبحانه عليهم بهذا التآخي الذي لم يكن ليحصل إلا بفضل الله عزوجل ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**﴾ [الأنفال: 63-62]، وقال تعالى: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**﴾ [آل عمران: 103]، وقال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [التوبة: 71]، وأكثر الخطابات القرآنية جاءت بصيغة الجمع تنويها بشأن الجماعة ودعوة للعمل الجماعي البناء، وابتعادا عن التقوقع والإنزواء، والشذوذ.

هذا قليل جدا من التوجه الكبير الذي اشتمل عليه القرآن للتربية الاجتماعية خاصة وللتربية عامة، لأن المقام لا يقتضي الإسهاب، فأكتفي بهذه الخلاصة المبسطة عما حواه القرآن من فيض في مجال التربية.

حتى عد بحق أعظم مرب للأجيال وأشمل كتاب للتربية، والدليل على ذلك كما سبق أن ذكرت رقي وحضارة وتقدم المسلمين عندما تمسكوا به واتخذوه دستورا، وانحلال وضعف وتأخر المسلمين عندما ابتعدوا عن تعاليمه أفرادا وجماعات وحكومات.

الخاتمة

وهي موجز لأهم الجزئيات التي شملها هذا البحث.

1ـ احتوى البحث على تعريف للتربية لغة واصطلاحا، ومعناها قديما وحديثا.

2ـ أهمية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع مع الناحية الروحية والنفسية، والبدنية، والاجتماعية، والفكرية والاقتصادية.

3ـ معنى القرآن الكريم وأهمية أن تكون التربية منه، وكيف كانت التربية قبله، والفرق بينه وبين سائر الكتب في هذا المجال.

4ـ اتجاهات التربية القرآنية، وأولها التربية الروحية والنفسية، وأهميتها للفرد المسلم، وكيف أجمع علماء الشرق والغرب على ضرورتها والمنهج الذي جاء به القرآن لتعميقها والمتمثل في:

أ- عقد الصلة بين العبد وربه - عقيدة وعبادة وسلوكا.

ب - الإكثار من العبادات التي تهذب النفس وتسمو بها كالصلاة والصوم والذكر..

جـ - الدعوة إلى فعل الخير عموما كالصدق والعفاف والأمانة...

د - الابتعاد عن الشر والرذيلة كالكذب والفجور والخيانة...

هـ - الأمر بتزكية النفس وإلزامها بالحق والهدى...

و- زرع العزة في نفوس المؤمنين.

ز- ملء النفوس بالصبر والرضا..

حـ - ذكر تجارب السابقين من الأنبياء والصالحين ليكونوا قدوة للمؤمنين..

5ـ الاهتمام بالتربية الفعلية والتركيز عليها في الآتي:

أ- الاهتمام بالعلم وجعله فرضا على المسلمين..

ب - الأمر بتعليم الناس وتثقيفهم..

جـ - ذم الجهل والجاهلين..

د - تكريم حواس الإنسان، وأولها العقل الذي ميز به الإنسان وأمره بالمحافظة عليه، وذلك باجتناب شرب الخمر، والتقليد الأعمى، ودعا إلى التفكير والبحث والإبداع.. وكذلك السمع والبصر واللسان ذكر أهميتها، وضرورة استخدامها الاستخدام الأمثل...

هـ - تكريم أدوات الكتابة ووسائلها، كالقلم والدواة والكتاب، وتقاس عليها جميع وسائل العلم...

و- دعا إلى التبحر في جميع العلوم، علوم اللغة، والقانون بجميع فروعه في المعاملات والعقوبات وأحكام الأسرة... وعلم الميراث، والحيوان والتشريح والطب، والجغرافيا والفلك، والحساب والجيولوجيا، والنبات، والتاريخ، والبحار، والجندية وعلوم الصناعة المتنوعة، والحكم، وغيرها..

6- الإهتمام بالتربية البدنية وأهميتها للفرد المسلم وذلك بـ:

أ- الأمر بإعداد القوة للجهاد خاصة، وللحياة عامة..

ب - الاعتراف بحاجة الجسم للطعام والشراب والغذاء الصحي عموما..

جـ - الاقتصاد في الطعام وما يعود به على الجسم من فائدة..

د - تحريم بعض المأكولات التي ثبت ضررها للإنسان كالخمر والخنزير..

هـ - الأمر بالتداوي والتمريض والإهتمام بعلاج الجسم..

و- تلبية رغبات غرائز الجسم كغريزة الجنس، وذلك بالزواج الشرعي الصحيح، والنهي عن التبتل..

ز- الأمر باللباس والسكن وأهميتهما في وقاية الجسم من عوامل المرض..

7- الإهتمام بالتربية الاجتماعية بالآتي:

أ- الإهتمام بالفرد باعتباره أولى لبنات المجتمع..

ب - الإهتمام بالأسرة وبنائها على قواعد متينة وسليمة، كحسن اختيار الزوجة أو الزوج، والاعتراف بالحقوق والواجبات المتبادلة بينهم.. والإهتمام بالأولاد وتربيتهم، وضمان حقوقهم المتمثلة في الرعاية والنفقة، والتعليم والتربية.. ثم دعوتهم للإقتداء بالشباب والفتيات الذين ذكروا في القرآن الكريم.. ودعا إلى بر الوالدين واحترامهما والإحسان إليهما..

جـ - الإهتمام بصلة الرحم، واحترام القرابة..

د - الإهتمام بأفراد المجتمع عموما بمؤاخاتهم وولايتهم، والرأفة بالمحتاج منهم...

الهوامش

1ـ انظر الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري 2350/6، باب ـ ربا.

2ـ لسان العرب لإبن منظور 386/1، باب ـ الراء.

3ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 112/5.

4ـ الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية، د/عمر التومي الشيباني، ص: 263، وما بعدها بتصرف.

5ـ انظر في هذا الموضوع كتاب: دور التربية في بناء الفرد والمجتمع، د/عمر التومي الشيباني، ص: 28.

6ـ انظر الوسيط في أصول الفقه الاسلامي، د/عمر مولود عبد الحميد، ص: 43.

7ـ القرطبي 122/4.

8ـ الشاعر هو فرعان بن الأعرف، انظر شرح ابن عقيل 41/2.

9ـ القرطبي 136/1.

10ـ انظر الإيمان والحياة، د/يوسف القرضاوي، ص: 337، وفيه تفصيل لهذا الموضوع.

11ـ فقه الدعوة إلى اللّه، د/علي عبد الحليم محمود 464/1.

12ـ الإيمان والحياة، ص: 142.

13ـ الإيمان والحياة، ص: 195.

14ـ متفق عليه عن ابن مسعود.

15ـ رواه الترمذي.

16ـ رواه ابو داود والترمذي.

17ـ رواه ابو داود باسناد صحيح.

18ـ القرطبي 344/8.

19ـ رواه مسلم.

20ـ انظر إحياء علم الدين، الغزالي.

21ـ أخبار الأذكياء، ص: 66.

22ـ ابن كثير 124/7.

23ـ القرطبي 300/18.

24ـ قواعد الدعوة إلى اللّه، همام سعيد، دار الشهاب ـ الجزائر، ص: 40.

25ـ أنظر تفسير الرازي 48/13 عن كتاب قواعد الدعوة إلى اللّه همام سعيد، ص: 40.

26ـ السمع والبصر في القرآن الكريم، د/علي محمد سلامة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ـ ليبيا ط/1، 1986م.

27ـ القرطبي 225/18.

28ـ القرطبي 283/1.

29ـ البخاري مع فتح الباري 251/12.

30ـ أساسيات الثقافة الإسلامية، د/الصادق الغرياني، طرابلس ـ ليبيا، ص: 89.

31ـ البخاري مع فتح الباري 349/1.

32ـ متفق عليه.

33ـ متفق عليه.

34ـ رواه ابو داود والنسائي والحاكم.

35ـ الاسلام وإعداد الشباب، د/عبد الرزاق اسكندر، ص: 38.

36ـ رواه مسلم وأحمد وابو داود.

37ـ الصحيحين.

38ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، محمد الرفاعي 386/6.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

ثانيا: كتب الحديث الشريف وهي:

1ـ رياض الصالحين: الإمام أبو زكريا النووي، دار الفكر بيروت ـ لبنان.

2ـ سنن أبي داود.

3ـ سنن النسائي.

4ـ صحيح البخاري.

5ـ مسند الإمام أحمد.

ثالثا: كتب التفسير:

1ـ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار الشام للتراث ـ بيروت ـ لبنان.
2ـ تفسير الرازي.
3ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير: محمد الرفاعي.
4ـ فهارس ومواضيع وألفاظ القران الكريم: محمد حسن الحمصي، دار الرشيد ـ دمشق ـ سوريا.

رابعا: كتب اللغة:

1ـ ترتيب القاموس المحيط: الطاهر أحمد الزاوي.
2ـ شرح ابن عقيل.
3ـ الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور ـ دار العلم للملايين.
4ـ لسان العرب لابن منظور ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة.

خامسا: كتب أخرى:

1ـ الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية، د/عمر التومي الشيباني، المنشأة العامة لنشر ـ ليبيا.
2ـ الحلال والحرام في الإسلام: د/يوسف القرضاوي، مكتبة الجديد ـ تونس.
3ـ أخبار الأذكياء: أبو الفرج بن الجوزي، دار اقرأ، طرابلس ـ ليبيا.
4ـ أساسيات الثقافة الإسلامية: د/الصادق الغرياني، طرابلس ـ ليبيا.
5ـ الإسلام وإعداد الشباب: د/عبد الرزاق اسكندر، جمعية الدعوة ـ ليبيا.
6ـ الإيمان والحياة: د/يوسف القرضاوي، دار الشهاب باتنة ـ الجزائر.
7ـ التربية في كتاب اللّه: محمود عبد الوهاب فايد، دار بوسلامة ـ تونس.
8ـ دور التربية في بناء الفرد والمجتمع: د/عمر التومي الشيباني، المنشأة العامة، طرابلس ـ ليبيا.
9ـ السمع والبصر في القرآن الكريم: د/علي سلامة، جمعية الدعوة، طرابلس ـ ليبيا.
10ـ فقه الدعوة إلى اللّه: د/علي عبد الحليم محمود.
11ـ القرآن وحقائق العلم الحديث: محمد جعفر، جمعية الدعوة، طرابلس ـ ليبيا.
12ـ قواعد الدعوة إلى اللّه: همام سعيد، دار الشهاب باتنة ـ الجزائر.
13ـ الوسيط في أصول الفقه: د/عمر مولود عبد الحميد، جامعة الزاوية ـ ليبيا.

دلائل الوحي من السنة

د/ أحمد محمد الحمادي
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

تعريف الوحي:

لغة: كلمة الوحي تدل على معنيين أصليين هما: الخفاء، والسرعة. وعلى ذلك يكون الوحي، هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه، بحيث يخفى على غيره.

اصطلاحاً: الوحي هو إعلام الله لأنبيائه، بما يريد أن يبلغه إليهم، بواسطة أو غير واسطة [1].

والوحي بمعناه اللغوي يتناول:

1- الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى - عليه السلام - قال تعالى: **﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾** [القصص: 7].

2- الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل. قال تعالى: **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً، ومن الشجر، ومما يعرشون﴾** [النحل: 68].

3- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء بالجوارح كإيحاء زكريا فيما ذكره القرآن عنه. قال تعالى: **﴿فخرج على قومه من المحراب، فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾** [مريم: 11].

وكما قال الشاعر:

نظرت إليها نظرة فتحيرت * دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أني أحبها * فأثر ذلك الوحي في وجناتها